دور الشاعر الليبي في تعزيز الانتماء الوطني(رفيق المهدوي – أحمد الشارف - خليفه التليسي)

أ. فاطمة نصر بن ناجي (*)

قسم اللغة العربية – كلية الآداب العجيلات– جامعة الزاوية

الملخص

الوطن مهجة القلب ,ومنتهى الأمل,وملاذ ورمز للعطاء ، يولد الإنسان على ترابه ويترعرع فوق أرضه, ويحن إليه ويناجيه كلما ابتعد عنه,ويفتخر بانتمائه إليه ,إن روح الوطنية موجودة في قلب كل فرد يَغار على وطنه , ولسنا نبالغ إذا قلنا أن الشاعر هو أكثر عشقًا للوطن فهو يعبر عن حبه للوطن بكلمات هادفة معبرة عن الانتماء والعطاء ، فعطاء الوطن ليس له حدود، ومن خلال هذا البحث سنعرض صور الانتماء وحب الوطن كما صورها لنا الشعر الليبي .

(*) Email: f.bennage@zu.edu.ly

قمنا من خلال هذا البحث بدراسة لمدي حضور الشعر الوطني في المنتوج الشعري الليبي وذلك بتقسم البحث على مبحثين الأول الشعر الوطني في ليبيا دراسة تاريخية أما المبحث الثاني فهو دراسة وصفية تحليلية لمختارات من قصائد خليفة التليسي وأحمد الشارف ورفيق المهدوي التي عبروا فيها عن الانتماء للوطن متبعة في ذلك المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي في عرض لمختارات من أشعار الشعراء.

Abstract

The homeland is the joy of the heart, the ultimate in hope, a haven and a symbol of giving. A person is born on his soil and grows up on his land. He yearns for him and calls him whenever he moves away from him, and is proud of his belonging to him. The spirit of patriotism is present in the heart of every individual who is jealous of his homeland.

Through this research, we conducted a study of the presence of national poetry in the Libyan poetic product, by dividing the research into two sections. The descriptive analytical method and the historical method in a presentation of selected poets' poems.

This research aims to study national poetry in Libya, which once in several directions expresses to us the extent of his love for the homeland and the necessity of belonging to it

مقدمة البحث

غُرست روح الوطنية في قلب كل فرد يَغار على وطنه .، ولسنا نبالغ إذا قلنا أن الشاعر بحسه المرهف هو أكثر عشقًا للوطن فهو يعبر عن حبه للوطن بكلمات هادفة معبرة عن الانتماء والعطاء ، فعطاء الوطن ليس له حدود،. حب الوطن من حب الله تعالى فبين مهد الطفولة وكرسي الشيخوخة ,يمضي العمر سريعا، فحاول أن تعيشه بالخير والعطاء والبناء للوطن الحبيب,فمهما

باعدت المسافات بينك وبين وطنك الغالي فهذا لا يمنع من الانتماء والعطاء للوطن ، فعطاء الوطن ليس له حدود.

قد تميز الشاعر الليبي بأن كان شعره مرتبط دائما بالوطن. لا نكاد نعثر على شاعر ليبي على الأقل المشاهير منهم خارج هذه الدائرة. أبدعوا في المدح والهجاء والغزل وكل صنوف الشعر نعم، لكن لا أحد منهم نسي التغنّي بوطنه، بل يكادوا يتميزون عن غيرهم من الشعراء العرب في تناول القصيدة الوطنية .

من خلال هذا البحث قمنا بدراسة لأهم مراحل تطور الشعر الوطني في ليبيا من خلال نماذج مختارة من شعراء مختارون بدقة ، بما يعكس لنا طبيعة العصر وتوجهات الشعراء ويصور تطور حركة الشعر في ليبيا ونماؤها وذوق العصر، ويعطي صورة مفسرة لبدء تحول الشعر في مضامينه.

كما يهدف هذا البحث إلى دراسة للشعر الوطني في ليبيا والتي مرة بعدة اتجاهات يعبَّر لنا فيها الشاعر الليبي عن مدى حبه للوطن وضرورة انتمائه له وبهذا نجده ينشد ويسطر بأحرف من ذهب تبثُ في النفس الإنسانية روح التمسك بأرض الوطن ، والكفاح والجهاد والموت في سبيله فالحياة بعزة وكرامة على أرض الوطن خيرٌ من حياة الذُّل والإهانة وكان المنهج الوصفي التحليلي هو المعتمد في هذه الدراسة .

متن البحث :-

تعد المواطنة والانتماء من القضايا المهمة التي تفرض نفسها وبقوة عند معالجة أي بعد من أبعاد التنمية البشرية أو الإنسانية ومشاريع الإصلاح والتطوير الشاملة بصفة عامة، والمواطنة بمفهومها الواسع تعني الصلة بين الفرد والدولة التي يقيم فيها بشكل ثابت، ويرتبط بها جغرافياً وتاريخياً وثقافياً، ويعد ازدياد الشعور بالمواطنة من التوجهات المدنية الأساسية التي من أهم

مؤشراتها الموقف من احترام القانون والنظام العام، والموقف من ضمان الحريات الفردية واحترام حقوق الإنسان، والتسامح وقبول الآخر وحرية التعبير وغيرها من المؤشرات التي تمثل القيم الأساسية للمواطنة، مهما اختلفت المنطلقات الفكرية والمرجعيات الفلسفية لهذا المجتمع أو ذاك .....

ومن خلال هذا البحث سنقوم بمعرفة مدى حضور مفهوم الانتماء والمواطنة في الشعر الليبي من خلال عرض نماذج من شعر بعض الشعراء الدين تم اختيارهم لهذا الغرض بعد عرض مبسط لمفهوم المواطنة ومراحل تطور الشعر الليبي .

أولا مفهوم المواطنة ومراحل تطور الشعر الليبي:

مفهوم الوطنية :

ارتبط مفهوم القومية بمفهوم الأمة من حيث الانتماء والهوية السياسية التي تجمع بين أفرادها روابط كثيرة منها الاجتماعي والروحي والشعوري، مع أن علماء الاجتماع والتاريخ قد ركّزوا اهتمامهم على الفترة الممتدة عبر القرن التاسع عشر كونها مرحلة النضج القومي، إلا أن القومية "بأصولها ومنابعها تمتد إلى أعماق التاريخ الإنساني...، ويشير بعض المفكرين وكتاب الفكر القومي إلى أن النزعة القومية ترافقت مع تطور المجتمعات الإنسانية وأن الشخصية القومية لأي مجتمع تتكون من تفاعلات اجتماعية وروحية ومادية طويلة"[1]

الشعر الوطني :

يعتبر الشعر الوطني صورة لوجدان المواطنين، ويعبر عن أمانيهم وأحلامهم، كما يجسدها الشاعر في كلماته، وتزداد هذه الصورة وضوحا أمام الأحداث التي تعصف بالوطن ، والشعر الوطني يتضمن أبوابا عديدة وألونا متنوعة، ففيه الحنين إلى الوطن حين يكون الشاعر بعيداً

عنه وفيه الفخر بالانتماء إلى الوطن وبتاريخ الوطن وبتاريخ أبنائه ,وفيه العطف علي شعبه حين تزدحم علي أبنائه الخطوب وفيه الدفاع عن كرامته حين يدعو داعي الجهاد[2]

أما الشعر الليبي المعاصر فيجد المتتبع لحركة نشأته أنه قد نمى في أعقاب الحرب العالمية وبعد تحرير البلاد من نير الاستعمار الإيطالي، إذ أتيح لشباب الاتصال بالاتجاهات الشعرية الجديدة في العالم العربي ومتابعة تجاربها والتفاعل مع مقوماتها، وقد قامت بين هؤلاء الشباب وبين هذه الاتجاهات الشعرية الجديدة صلة تلمذة مباشرة، ومن هنا تطور الشعر في القطر الليبي بوجه الخصوص . [3]

إن الشعور الوطني شعوراً قويا، وحيا نابضا لاتزال قائمة به حرارة الإيمان وصدق الأساليب السياسية ،والاجتماعية, والثقافية، وغيرها من الأسباب التي عملت على حفظ هذا الشعور من الفتور والضعف باعتبار أن الوطنية إلي جانب أنها عماد الأدب وتاريخه ،فهي تكون قطعة من التاريخ الليبي العام للحركة الوطنية وعنصراً من عناصر بعثها وتطورها، ولا غرو فالشعر فرع من دوحة الأدب، والأدب الوطني له الأثر الذي لا ينكر في تكوين(المواطن الصالح)والشعر بما يصنع في النفوس من التحليق في سماء العواطف النبيلة والتطلع الى المثل العليا ,وإذ يهيب بالأمه أن تتمسك بالحرية والكرامة ويحثها على النفور من الذل وإباء الضيم .

ومن هنا يمكننا القول أن الأدب الليبي الذي عرف في هذه الفترة قد مر بنفس المراحل والأطوار التي مربها الأدب في البلدان العربية ،ووجدت اتجاهات أدبية شعرية تتشابه في الخصائص والمميزات وفي الصياغة والمعنى ، مع الاتجاهات التي وجدت في مصر, وسوريا والعراق وتونس في مطالع النهضة، حيث تمثلت جميع مظاهر المدرسة القديمة بها كانت تحافظ عليه من المفاهيم وما كان يسري في أشعارها من تقليد واقتباس وارتباط بالعصور التي تأخر فيها الأدب .

إن مراحل تطور المشهد الشعري بليبيا، تتقارب أو تتشابه معطياتها بما هو حاصل على المستوى العربي من حيث ارتباط نهوضه بمقاومة المستعمر وكذا سوء أحوال المعيشة، وهي أسباب دفعت الشعراء لاختيار المهجر كواقع بديل مكنهم من الحصول على فرصة جيدة للتعلم والاستفادة من المناخات الثقافية في هذه البلدان.

ومع نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين برزت مجموعة من الشعراء حاولوا تضمين تلك المعاناة في نصوصهم منهم «أحمد الشارف، أحمد رفيق المهدوي، خليفه التليسي وغيرهم ...»،اجتهدوا في الخروج من القوالب المعروفة آنذاك ومحاكاة تجارب إبداعية مجاورة مثل الشاعر أحمد شوقي[4].

مراحل تطور الشعر الليبي المعاصر :-

المرحلة الأولى (العهد العثماني) :

انطلق هذا الشعر من الزاوية أو المعهد الديني فلا غرابة في أن يعبّر عن القيم التي تمثلها هذه المراكز الإسلامية العتيدة ,وأن تكون أغراضه محكومة بالقيم الأخلاقية التي تسعى إلي غرسها في النفوس. أن دور هذه المراكز الثقافية لا يمكن إنكارها فهي التي حفظت لنا ثقافتنا وشخصيتنا عبر عصور متلاحقة من الظلام، فلقد برزت في أواخر العهد العثماني بدور نهضة فكرية إلا أن انعدام السيطرة الكاملة للدولة وقيام القلاقل والاضرابات وعدم استقرار الولاة، لم يكن لهذه الحركة أن تجد طريقها الصحيح.

كما إن صدور عدد من الصحف في هذا العصر اتضحت من خلالها النهضة الفكرية ،عقب دخول المطبعة إلي طرابلس.والحركة الأدبية في ليبيا مدينة لهذا الرعيل الذي نشأ في هذه الفترة بفضل المحافظة علي اللغة العربية وأذابها، في الوقت الذي حوربت فيه من الإيطاليين ابشع

محاربة، وجميع شعراء الشيوخ الذين عاصروا العهود التالية محسوبون في تكوينهم الأدبي والفكري على العهد العثماني الأخير وعلى المعاهد الدينية. فإذا تركنا هذه المدرسة العتيقة استطعنا أن نجد ملامح, ومشابه من المدرسة التقليدية الحديثة، مدرسة حافظ وشوقي والرصافي والزهراوي ومن هؤلاء الشعراء(أحمد الشارف ورفيق المهدوي)

فقد حمل الشعر الليبي في الثلاثينات والأربعينات المسألة الوطنية بوصفها قضيته الأساسية من خلال شعرائه: الباروني ورفيق وأحمد الشارف وقنابة وإبراهيم الأسطى عمر، فكانت أشبه بنشيد وطني يستقي روحه من داخل الحركة الوطنية بمراحلها المختلفة، بدأ من مطالبة الدولة العثمانية بالإصلاح وإعادة الدستور إلى الدخول في مواجهة الاحتلال الإيطالي[5].

يمكن أن تعرف مرحلة الخلافة العثمانية بمرحلة التراكمات الأدبية التي سرعان ما تحولت إلى أصوات تنادي بالإصلاح، وتطالب برفع الظلم عن العباد. ولعل صوت المجاهد الكبير والأديب سليمان باشا الباروني، وصوت الشاعر والفقيه أحمد الشارف هما خير برهان على شعر تلك المرحلة.

المرحلة الثانية (العهد الايطالي):

لقد استطاع هذا الاستعمار أن يفوت على الليبيين أكثر من ثلاثين عاما قضوها في محاربته، ولم ينشغلوا فيه بقضايا الأدب، إلا أن هذا الاستعمار رغم محاولاته البائسة لم يستطع أن يقتل الروح الأدبية في النفس الليبية ، التي استطاعت أن تواكب الحياة وأن تعبر عن تجاربها في هذه الظروف القاسية الصعبة ، وقد تحوّلت الطاقة الأدبية من الميدان الأدبي الفصيح وانصبّت كلها في ميدان الأدب الشعبي، وقد بلغ الأدب الشعبي في ليبيا مستوى من الأصالة والعمق ، بحيث أصبح أعظم وثيقة نفسية في التعبير عن الكفاح، والنضال ومعركة الوجود التي كان يخوضها الليبيون ضد الاستعمار [6]

المرحلة الثالثة (التحرر والاستقلال):

في هذه المرحلة نشأ الشعر الليبي المعاصر ، ذلك في أعقاب الحرب العالمية وبعد تحرير البلاد من نير الاستعمار الإيطالي، إذ أتيح للشباب الاتصال بالاتجاهات الشعرية الجديدة في العالم العربي ومتابعة تجاربها والتفاعل مع مقوماتها وقد قامت بين هؤلاء الشباب وبين هذه الاتجاهات الشعرية الجديدة صلة تلمذة مباشرة ، من هنا تطوّر الشعر الذي انقطعت الأسباب بينه وبين المدرسة التقليدية المحلية [7]

ثانيا الانتماء الوطني في الشعر الليبي :

أحمد رفيق المهدوي :

هو الشاعر الأديب أحمد رفيق بن محمد أمين بن أحمد المهدوي، ولد في منطقة (فساطو) بمدينة (جادو) في العام 1898م، هاجر إلى مصر وهو في سن الثالثة عشرة، وفيها تلقى تعليمه حتى تحصل على الشهادة الثانوية، ثم عاد إلى بنغازي وعمل في ديوان بلديتها على وظيفة سكرتير، وكان نابغة في الشعر، أديباً مفوهاً، وكان مواظبا على كتابة القصائد الوطنية، التي تنادي بحب الوطن، وتخليصه من الوصاية والاستعمار، وتوحيده على أيدي أبنائه، والتي كان لها صدى بين أبناء الشعب . [8].

أطلق على رفيق المهدوي اسم (شاعر الوطن)، لكثرة ما نظم فيه من الشعر بشقيه العامي والفصيح، وكان للحوادث الكبرى التي وقعت في ليبيا ومصر وفلسطين وتونس صدىً واسع في شعرهِ، كما تزعم دعوة إلى التجديد في الشعر.

إن الشاعر الوطني ليس من ينظم مشاعر الناس ،ولكن شاعر الوطن هو الذي يعّمق مشاعر الناس ويضيف إليها إضافات نفسية جديدة، ويفتح وجدانها على أفاق لا عهد لها به من

قبل فهاهو صوت الشاعر(أحمد رفيق المهدوي)الذي تميز أسلوبُهُ الشعري بالوضوح والبساطة ، والابتعاد عن الطلاسمِ والتعقيدِ ، ، كما يقارع عمقِ في المعاني ، والانفعالِ بموضوعاتِ قصائدِه ، ويستغل الفصاحةِ والبلاغةِ والتعابيرِ والصورِ والأشكال العذبةِ ، والموسيقى العذبة الرنَّانة حين قال:

أمة الطليان هل أنتم بشر * ** أم لِئَام الأصلِ من جنس الغَجَر

أرأيتم كيف يجزى مَن طغى * ** وشَهدتم كيف عقْبى من غدر

ذقتموا ما تستحقون وهل * ** يحصد الزارع إلا ما بذر

توفي شاعرنا الكبير رفيق المهدوي في العاصمة اليونانية (أثينا)، في السادس من يوليو 1961، ودُفن بمقبرة (سيدي عبيد) ببنغازي .في نوفمبر 1965 صدر كتاب عنه للأديب (خليفة محمد التليسي) أسماه (رفيق.. شاعر الوطن) تضمّن دراسة مستفيضة عن شاعر الوطن والحركة الأدبية الحديثة التي تصدّرها رفيق المهدوي .

بلغ الشعر الوطني ذروته على لسان(رفيق) وقد تغنى بالوطنية وكانت للحوادث الكبرى التي وقعت في ليبيا والشرق عامة والغرب صداها في شعره وكان له أثره وفضله في تغذية الحركة الوطنية بدرر اللوامع من عيون الشعر الوطني ، إذ جادت قريحته بإبداع قصائده في الحنين إلى ليبيا والهيام بها إلى درجة التقديس والثورة المتأججة على الاستعمار وهذا يدل على تأصل الروح الشعرية في نفسه. [9]

كما أن ظروف الحياة ونمط التعليم الذي تلقاه المهدوي كانا من أهم العوامل التي أثرت شخصيته، فالمعروف عنه أنه ظل طيلة حياته يتنقل من مكان إلى آخر داخل البلاد وخارجها، فقد ولد في إحدى مدن الجبل الغربي وفيها تلقى تعليمه الديني، ثم انتقل إلى مصراتة والزاوية

،وهناك ظل يختلف إلى المدارس التركية والفرنسية الخاصة، ولما احتلت إيطاليا البلاد وتعرض للمضايقة هاجر إلى الشام، ثم استقر به المقام لمدة سنوات في الإسكندرية انتسب خلالها إلى عدد من المدارس منها مدرسة الفرير الفرنسية، كما هاجر إلى جيحان في تركيا وبقي هناك عقدين من الزمن، وأخيرا ألقى رحله في بنغازي [10]

يعد شعره من طينة الشعر العربي في تلك المرحلة، لغة وتراكيب وخيالا، ومكانته في الثقافة الليبية تعود، بالدرجة الأولى، إلى شعره الوطني الأقرب إلى الأناشيد الغنائية منه إلى القصيدة التقليدية الفصيحة المسبوكة. فلغته تلتقط جل مفرداتها من اليومي. وكان على شيء من البرم من قيود الخليل، لكنه لم يتجرأ على تحطيمه إذ ظلت محض رغبة ومما أنشد المهدوي قوله:

أما آن للشعر أن يستقل * ويخلص من ربقة القافية

فقد طال والله تقييده * بتقليدنا العصور الخالية

أطلق عليه تسمية شاعر الوطن بسبب كثرة شعره الفصيح والعامي في حب الوطن:

رحيلي عنك عز علي جدا * وداعا أيها الوطن المفدى

وداع مفارق بالرغم شاءت * له الأقدار نيل العيش كدا

وخير من رفاه العيش كد * إذا أذا عشت حرا مستبدا

سأرحل عنك يا وطني وإني * لأعلم أنني قد جئت إدا

ولكني أطعت إباء نفس * أبت لمرادها في الكون حدا

دواوينه :

- ديوان شاعر الوطن الكبير (الفترتان الأولى والثانية)/ 1971

- ديوان شاعر الوطن الكبير (الفترة الثالثة)/ 1962
- ديوان شاعر الوطن الكبير (الفترة الرابعة)/ 1965

أحمد الشارف :

أحمد الشارف هو شاعر أديب وهو من أحد الرجال الدين حملوا لواء العربية ورفعوا منارها ، فقد شارك بجهاده المستمر باللسان والقلم لقهر الظلم والجهل والتخلف ونشر العدل في وقت كان فيه الاحتلال التركي والاحتلال الايطالي جاثمان على البلاد .

بدأ اهتمام أحمد الشارف بالشعر منذ صغره، وكان على تواصل مع المهتمين بالأدب آنذاك في ليبيا ، كمراسلاته للشاعر (أحمد الزدام) عندما كان الأخير في تونس حيث اعتُبرت هذه المراسلات ذات قيمة أدبية عالية، يلقب الشارف بشيخ الشعراء وشاعر القطرين طرابلس وبرقة.

هو أحمد علي بن مسعود الشارف من قبيلة أولاد يحي من العمائم والتي تنتمي ومعها قبائل المحاميد والعلاونة إلى قبائل بني هلال المعروفة ولد أحمد الشارف في سنة 1864 م نشأ في أسرة كريمة كان من أب صالح يعمل مزارعا وكان وحيد أبوية ، درس شاعرنا في زاوية الفرجاني ثم انتقل إلى زاوية سيدي عبد القادر الجيلاني ، واتم دراسته في زاوية عبد السلام الأسمر وفيها اتم حفظ القرآن الكريم ثم درس بعض علوم العربية .[11]

ينتمي الشارف رفقة شعراء جيله أمثال أحمد رفيق المهدوي، وأحمد قنابة، وأحمد الفقيه حسن وغيرهم من الشعراء إلى التيار التقليدي(الكلاسيكي) وإننا لنجد تطورا ملحوظا في تناول قضايا الوطن والأمة معا وخصوصا في الفترة الممتدة بين الحربين وبعدهما، فمن الناحية الشكلية تخليهم عن السجع والمحسنات اللفظية وتمردهم على الركاكة والابتذال بالعودة إلى الأساليب الشعرية التقليدية ذات الأصالة؛ أما من حيث الموضوعية فلم يعد الشعر رصفا للكلام في قوالب جاهزة بل

أصبح فيه نوع من التمازج مع الأحداث والمواكبة لها، وهو ما انعكس على مفهوم الشعر القومي على اعتبار القومية العربية هويةً وانتماء ،فقد جمع أحمد الشارف بين الدراسة التقليدية وفنون التشريع وبين الأدب والشعر ،حيث برزت مواهبه الشعرية منذ صباه. (12)

شارك شاعرنا الفذ بقلمه في الجهاد الوطني الليبي ضد الغزاة ، كما دعا في كثير من المقالات الأدبية الليبيين إلى الاحتفاظ بلغتهم رمز هويتهم حتى يُصان التراث الذي لا معنى لوجودهم بدونه .

كتب أحمد الشارف في أبواب كثيرة وفي أغراض متعددة من شعر وطني وقصائد في مدح النبي عليه السلام وفي الحماسة والأمثال والحكم والشعر القصصي وغيره من أنواع الشعر ومن أجمل ما قال :

رضينا بحتف النفوس رضينا ولم نرض أن يعرف الضيم فينا
ولم نرض بالعيش إلا عزيزاً ولا نتقي الشر بل يتقينا
فما الحر إلا الذي مات حراً ولم يرض بالعيش إلا أمينا
وما العز إلا لمن كان يفدي ذماماً ويفني عليه الثمينا
وما الخزي والعار إلا لشخص إلى وطن العز أضحى مهينا

أحمد الشارف شاعر من أرومة الشعراء الكبار. بدأ من زاوية الشيخ "عبدالسلام الأسمر" بمدينة زليتن، حيث درس الفقه المالكي، واللغة العربية في، ليشتغل بالتدريس في مسلاته، ليترك التدريس ويلتحق بسلك القضاء الشرعي في تاورغاء لمدة خمس سنوات، إنه الشاعر العالم "أحمد الشارف"، الذي كانت قصائده تلب النفوس، وتذكي الروح الوطنية، مما اضطر الطليان لسجنه بسبب مواقفه الوطنية من خلال ما ينشد من أشعار. (13)

ومما أنشد شاعرنا الكبير :

حيوا بني وطني من أمة العرب تمثلت فيهموا روح من الأدب
دعاهموا الوطن الغالي فما بخلوا وأبخل الناس من يدعى ولم يجب
واستخرجوا أدوات البحث بينهموا واستنهضوا الهمم العلياء عن كثب

يحمون بالسيف ما قالوا وما كتبوا وآية السيف تمحي آية الكتب
بوادر اليأس قد زالت ببيعتهم كما يزول ظلام الليل بالشهب

فالأبيات كما نلاحظ تتميز بجزالة الألفاظ، ونبرتها الخطابية الحادة، وهي صفات تعكس اضطرام العواطف وشدة الانفعال، وانحيازه التام لقضايا أمته[14] .

خليفه التليسي :

هو خليفة محمد التليسي ولد في مدينة طرابلس العام 1930، وفيها تحصل على الشهادة الثانوية ودبلوم التعليم العالي، اشتغل بالتدريس وبمجلس النواب، وعين العام 1962 أمينًا عامًا للمجلس، وبين العامين 64 و1967 تولى منصب وزير الإعلام والثقافة، وفي العام 1968 عين سفيرًا لليبيا لدى المغرب، ثم في العام 1970 عاد للعمل بالداخل وانصرف إلى النشاط الثقافي.

مع تميز تاريخ الثقافة والإبداع الليبية بالكتاب الذين شكلوا ظاهرة ثقافية، فإن المرحوم خليفة التليسي كان نموذجا وظاهرة استطاعت مبكرا أن تفرض نفسها على المستوى الليبي والعربي، وفي وقت كان الحراك الثقافي الليبي يعمل بمعزل عن محيطه العربي وبتجاهل من هذا المحيط، يتحقق مفهوم الظاهرة عند التليسي عبر تميزه بعدة سمات جعلته إحدى قامات الإنتاج الثقافي والموسوعي لدينا، تبدأ من كونه استطاع مبكرا الانفتاح على الثقافات العالمية والعربية وأن يتشابك معها عبر عمله النقدي وتأثره ببعض الرموز منها.

يقول خليفه التليسي في حب الوطن :

اعطيتها من حياتي خير ما فيها ولا أمن عطائي من أيـاديها
جاد علـينا فجدنا من شمـــائلها الشح يفـــقرها والجود يغنيها
أعطيتها بعض ما أعطت وما أخذت إلا استزادت رصيدا من غواليها

ورغم شغفه بالشعر فهو فلم يترك سوى ديوان واحد صدر عن الدار العربية للكتاب بليبيا ضمنه خلجات قلبه وما جاشت به نفسه ، ولم يخرج فيه عن موضوعات ثلاثة كانت كالأثافي تسند تجربته الشعرية: الوطن والمرأة وبكاء الشباب ، وإذا دققنا النظر في ثلاثتها وجدنا قاسمها المشترك

هو الحب ؛ حب للوطن وتفان في نصرته ؛ وحب للمرأة وهيام بجمالها ؛ وحب لشبابه الراحل وحنين لأيامه الخوالي ؛ فديوان التليسي ديوان للحب بكل معانيه.

ففي الوطن قال أطول قصائده(وقفٌ عليها الحب) متغنيا بأمجاده جاعلا الحب وقفا عليه ليصبح الوطن كائنا حيا ينبض من أجله القلب مثلما يحدث للعاشقين فنجده يقول :

وقف عليها الحب شدت قيدنا * أم أطلقت للكون فينا مشاعرا
وقف عليها الحب ساقط نخلها * رطب جنيا أم حشيفا ضامرا
وقف عليها الحب أمطر غيمها * أم شح أو نسيت حبيبا ذاكرا
وقف عليها الحب كرمي عينها * تحلو منازلة الخطوب حواسرا
وقف عليها الحب تنظم عقدنا * ركبا توحد خطوة وخواطرا
أنا لا أقول الشعر أبغي رتبة * تعلو بها رتبي وتكسب وافرا
ماذا وراء العمر من أمنية * ترجى وقد رحل الشباب مغادرا
حسبي من التكريم ركن دافئ * من قلبها أصفو لديه سرائرا
لكنها الأوطان فرحة قلبها * فرحي وحزني أن تصيب عواثرا
لكنها الأجيال طوق أمانة * في العنق تحلم بالدروب أزاهرا

وفي سياق إظهار حبه لوطنه وولائه له ، يجعل ما ينفق في نصرته لا يساوي شيئا مقابل المنح والعطايا المعنوية التي يجنيها من بره ، والحياة الرتيبة هي حياة عابثة إذا لم يصاحبها ركوب الأخطار وخوض لجج الأهوال لكسب مجد مؤثل لا يبلى ، فما تعانيه النفوس في سبيل نصرة الوطن هو كالأتون تخرج من بوتقته السبائك الذهبية أكثر لمعانا وأشد ألقا والمتتبع لشعر التليسي من خلال النماذج السابقة يستطيع أن يلمح مميزات هذا الشعر وخصائصه الفنية فهو ينزع منزعا رومانسيا في شعره ؛ فحبه الخير ، ونشدانه السعادة[15]

ويقول التليسي في أخرى :

وطن رضعنا حبه فأثابنا عن حبنا ألما وهما واصبا
سنظل نعشقه على علاّته ونضيء فيه مجاهلا وغياهبا
ونظل نبدعه قصيدا رائعا يغني جوانحه وفكرا ثاقبا
ونظل نحملها رسالة مؤمن يلقى الحياة مجاهدا ومحاربا

فقد صور التليسي الوطن كائنا حيا يعيش فيه الاحياء فقد اختفت عباراته الرقيقة وحلت محلها مشاعر الحب والعشق [16]

الشعر الوطني عند التليسي، تعلو قيمته ويبلا تأثيره، إذا كان مفعما بالعاطفة، وتنخفض قيمته ويقل تأثيره، إذا لم يكن كذلك، وقد تنفى عنه صفة الشعر إذا لم يكن كذلك، وهذا الأساس هو الذي اعتمد عليه في حكمه بالجودة على قصيدة الشاعر أحمد رفيق المهدوي(وداعا أيها الوطن المفدّى)التي قالها في حب الوطن والحنين إليه، لكونها جاءت" وثيقة فنية رائعة الدلالة على هذا الحب ... فهي بجوها الوجداني العميق، وانفعالاتها الحارة كافية للتعبير عن هذه العاطفة التي حملها لوطنه، والتي جعلت من هجرته وخروجه تجربة أليمة عاشها الشاعر في حزن وأسف ومرارة، وعبر عتها في وجدانية أصيلة فريدة[15]

نتائج البحث :

1. تميز الشعر الليبي بارتباطه بقضايا العصر والأحداث العامة والمحافظة على تقاليد القصيدة العربية .
2. حمل الشعر الليبي المسألة الوطنية بوصفها قضيته الأساسية من خلال شعراء مثل ورفيق وأحمد الشارف والتليسي وغيرهم... فكانت أشبه بنشيد وطني يستقي روحه من داخل الحركة الوطنية بمراحلها المختلفة.
3. بلغ الشعر الوطني ذروته على لسان (رفيق) ولقد تغنى بالوطنية وسمي بشاعر الوطن بسبب كثرة شعره الفصيح والعامي في حب الوطن.
4. لمسنا روح الانتماء في شعر (أحمد الشارف)، الذي كانت قصائده تلب النفوس، وتذكي الروح الوطنية.
5. أما خليفه التليسي فقد لمسنا حبه للوطن في سياق إظهار ولائه له ،و جعله ما ينفق في نصرته لا يساوي شيئا مقابل المنح والعطايا المعنوية التي يجنيها من بره.

وهكذا في ختام بحثنا هذا لمسنا مدى حضور الروح الوطنية وحب الانتماء للوطن من خلال نماذج من الشعر الليبي وما نرجوه هو التوفيق من عنده تعالى .

المصادر والمراجع

1ينظر: البعد القومي في شعر أحمد الشارف، ناجية مولود الكلامي، كلية اللغات -جامعة طرابلس، مجلة كلية الآداب ،جامعة الزاوية ، العدد 21 /2016،ص 26.

2إميل ناصيف ،أروع ما قيل في الوطن، مجلس الثقافة العام ،طرابلس 2006 ,م(د.ط)، ص9/10.

3خليفة محمد التليسي، رفيق شاعر الوطن. (ط 2)، 1976 ،ص 36 – 37 .

4عبد السلام الفقهي ، بوابة الوسط ،طرابلس، مقال ،س21:10 الجمعة 2021/10/1

5 سليمان دوغة ، مقال جوانب من الحركة الشعرية في ليبيا ، الجمعة 2021/10/1م .

6البشير العثري حنين ،الشعر العربي الحديث والاحتلال الإيطالي لليبيا ، دار المعارف ،1988، ص16 .

7ينظر محمد الصادق عفيفي الشعر والشعراء في ليبيا ، 1957 ، دار الطباعة الحديثة،(.د.ط)، ص116 .

8 فاطمة سعد البخاري ، الوطنية في شعر أحمد رفيق المهدوي ، بحث ، جامعة سبها، العام الجامعي خريف2018 .

عادل بشير الصاري، المهدوي شاعر الثورة في ليبيا ، الجمعة ،2021/10/1 .

10دليل المؤلفين العرب الليبيين/ إصدارات أمانة الإعلام والثقافة،1977، ص 66.

11علي مصطفى المصراتي (أحمد الشارف – دراسة وديوان)، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان – مصراته ، (ط 3) ،2000 ، ص43.

12 عبد القادر زين ، شعر خليفة التليسي ... موضوعاته وخصائصه ، جامعة الجلفة، ص 257 .

13محمد قاسم، خليفه التليسي، الإبداع والمعرفة، (ط 1)، ص 25 .

14ينظر: رفيق شاعر الوطن، مصدر سابق، ص135 .